الدلالة الجديدة والتطور اللغوي

الدكتور إبراهيم السامرائي - بغداد - كلية الآداب .

شارك العرب الاقدمون فى العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الامم القديمة كاليونان والهنود والصينيون . ولعله من غير المجدي فى عصرنا الحاضر ان نبحث فى اصل اللغة ، والذي يعنينا من اللغة انها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الانسانية . وينبني على ذلك أنها مظهر من مظاهر علم الاجتماع الذي يعنى بالنشاط الانساني فى مختلف احواله .

واتصف « علم اللغة » فى العصر الحاضر بالصفة العلمية الخالصة ذلك أنه ليس مادة يستعان على ادراكها بالتأمل كما كان فى عصور سلفت . انه الآن مادة موضوعية يتبع فى علاجها ومعرفتها المنهج الوصفي ، ومن هنا يدخل التطور اللغوي فى هذا المنهج .

ان علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم الغربية الحديثة التى بحثها الغربيون وتشعبوا فيها ، وقد كان ذلك اثر الاهتمام بما دعاه كريم Grimm بالقوانين الصوتية فقد كان سائدا أنها قوانين عامة شاملة تنبطق على جميع اللغات وهي كالقوانين الطبيعية الاخرى .

وقد عرضوا لاسباب هذا التطور فى الاصوات فردوا ذلك الى الاختلاف الذى يحصل فى اعضاء النطق ، وقد عرضوا فى ذلك لجملة من الملاحظات والتجارب لاثبات ما يعتور الاصوات من تغيير اذا ما حدث اي تشويه فى اعضاء النطق .

ومنهم من رد هذا التطور اللغوي الى ما يطرأ على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية . وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة فى تطورها التاريخي . على أنهم يذهبون مذاهب فى تفسير هذا التطور الصوتي ، غير أن هذه التفاسير المختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وان كانت وجيهة فانها تفتقر دائما الى الاصالة والشمول ، بحيث يمكن الاخذ بها على أنها نظريات ثابتة .

وقد حلا لبعضهم ان يفسر التطور الصوتي بقوانين « مندل » فى الوراثة ، والرد على هذا من الامور الهينة . وقد استعاروا طريقة تشارلز دارون العالم الانكليزي فى التطور وهو ما يدعى بـ «المذهب الطبيعي» . قال دارون فى كتابه « اصل الانواع بمائة تنازع البقاء وظهور « The Origin of Species » صفات خاصة فى بعض الافراد وانتقال الصفات الخاصة بالوراثة الى النسل وشيوع هذه الصفات وكثرتها بحيث يمكن اعتبار من يرثها من النسل نوعا مختلفا عمن لم يرثها . وقد طبق العالم الجيولوجي « ليل » هذه النظريات على اللغة فقرر : « ان الانواع فى الطبيعة ، واللغات فى التاريخ تتغير تبعا لنواميس متشابهة ... والعاملان الجوهريان فى اللغات هما كما فى الانواع الطبيعية التغير والانتخاب الطبيعي . وكما يحصل فى الانواع يحصل كذلك فى اللغات أيضا نتائج عظيمة لتجمع اسباب عديدة صغيرة لا قيمة

لها فى حد ذاتها كادخال عبارات اجنبية وكثرة الخطباء والكتبة والاختراعات والاكتشافات وتعلم علوم جديدة وتنازع الالفاظ الى غير ذلك مما يغير اللغة » (1) .

ثم جاء بعد « ليل » العالم اللغوي شليخر فنشر كتابه بعنوان « دارون وعلم اللغات » وقد قرر فيه « ان مبادىء دارون ينطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فان جميع اللغات الاوربية يكاد يكون لها اصل واحد هو اللغة الهندية الجرمانية ، ومنها تفرعت عدة فروع باديء ذي بدء ثم تفرع من هذه الفروع فروع اخرى . على أن تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن الا مجرد آراء اخذ بها اللغويون فى مطلع هذا القرن ، وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذى وجه اليها .

غير انه من الثابت ان التطور اللغوي يحدث فى مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها واعني بذلك الالفاظ التى تبنى منها اللغة . هذه الالفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية Sémantique جديدة يستدعيها الزمان والمكان . وليست العربية بدعا بين اللغات ، ذلك ان اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وان الكلمة فى كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة فتتطور وتتبدل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية ابعدها الاستعمال عن اصلها بعدا قليلا او كثيرا . وليست العربية بنجوة من هذا الذى يطرأ على غيرها من اللغات .

وعلى هذا يتحتم على الباحثين والدارسين ان يأخذوا انفسهم بالمنهج الوصفي ، فان كثيرا من الالفاظ انتقلت انتقالات عدة بحيث أن « المصطلح الفني » يؤلف مثلا مرحلة معنوية من الدلالة التى انتهت اليها لفظة من الالفاظ او تركيب من التراكيب.

فلا بد أن يعنى المعجم الحديث بهذه الناحية ويثبت هذه الالفاظ التى جدت فى العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة .

ومن العجب ان المعجم العربي الحديث لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية وربما تنكر اصحاب المعجمات الحديثة لهذا النوع من المولد الجديد . وليس عجيبا أن يكون نفر من هؤلاء ما زال يعد الجديد المولد غير فصيح وان اقتضاه عصرنا وجرى عليه الاستعمال ، وشاع وقيد فى النصوص والوثائق . وهذه النظرة وان تمسك بها جماعة من اللغويين فى عصرنا فان المعربين كافة اخذوا انفسهم باستعمال الجديد ، وقد بحث الاوربيون فى هذه الناحية والفوا فيها مصنفات عدة ما زالت تدرس حتى يومنا هذا (2) .

واذا عدنا الى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات من الالفاظ الجديدة المولدة والمعربة وقد أخذت طريقها الى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص من المعنى . غير ان اللغويين ما زالوا مترددين فى عد هذا الجديد من الفصيح .

ان عربية يومنا هذا غير تلك العربية التى كان ابناء امسنا القريب فى مطلع هذا القرن يعربون بها . ومن غير شك أن عربية هذا الاقليم تختلف عن عربية اقليم آخر فى هذا الوطن العربي الفسيح الارجاء . ومن غير شك ايضا أن خصائص العصر لا بد ان نلمسها فى لغة اية حقبة . ان هذه الحال تصدق اذا عرفنا أن القدماء قد جردوا من اللغة طائفة من الالفاظ والاستعمالات تتصل بحقبة من الحقب او بنظام سياسي معين او بلون اجتماعي خاص او بفرقة من الفرق ، كأن تكون هناك الفاظ عباسية واخرى من المجازات الاسلامية كمجازات القرآن ومجازات الحديث، وطائفة لغوية ذات علاقة بالتصوف الاسلامي ، وطائفة اخرى تتصل بالفلسفة الاسلامية.

وجاء العصر الحديث وبرزت الحضارة الغربية وتطلع العرب الى الوان هذه الحضارة فوجدوا أن لا ضير على الحضارة الاسلامية من اخذ شيء من الوان هذه الحضارة الوافدة . وسواء رضينا ام ابينا هذه الالوان الجديدة فانها لابد أن تجد سبيلها الينا . وكان من ذلك ان صارت لغتنا العربية معبرة عن خصائص هذا العصر الجديد فحفلت بالفاظ جديدة كما حفلت بطرائق جديدة فى الاستعمال .

قلت : قد حفلت العربية الحديثة بالفاظ جديدة . ان عنصر الجدة فى هذا الموضوع هو ان

---

(1) من المقالة الثانية من كتاب « فلسفة النشوء والارتقاء » لشبلي شميل (مطبعة المقتطف مصر 1910) ص 120 – 121 .

(2) من هؤلاء Darmestetiv فى كتابه « حياة الكلمات » La vie des mots . ومنهم Whiteney فى كتابه « حياة اللغة » La vie du langage . ومنهم Richard و Ogden فى كتابهما The Meaning of Meaning

دلالة جديدة قد وجدت . وهذا يعني ان تطورا ما قد حدث وان المعربين وجدوا انفسهم محتاجين الى شيء من جديد يؤدي معاني جديدة استحدثت لفرض من اغراض الحياة الجديدة .

اقول : من الواجب علينا ان نفسح لهذا الجديد الذى قذف به المستعملون ، فى كتاباتنا لانه صار من مادة هذه اللغة . وسأعرض لجملة من هذه الالفاظ ولم أرد من ذكرها الا ان تكون أمثلة على النهج الذى أشرت اليه من ذي قبل . وهذه أشتات جمعتها من هنا وهناك ولم اتبع فى جمعي هذا منهجا خاصا فمنها ما شاع فى لغة الصحافة اليومية ، ومنها ما هو جار على السنة المذيعين ، ومنها ما هو مستعمل فى لغة الكتابة الخاصة ، واعني بالخاصة لغة الكتابة غير الادبية كالالفاظ الاقتصادية والسياسية ونحو ذلك .

لعل احدا يقول : ان هذه الالفاظ ينبغي ان تصنف فى مجموعات حسب الاختصاص الذى تنسب اليه ، كان يكون لالفاظ السياسة مجموعة خاصة ينتظمها سفر خاص ، وهكذا فى سائر الاختصاصات. وهذا صحيح غير ان العربية ما زالت مفتقرة اليه .

على ان هذا لا يعني اغفال هذه الالفاظ الجديدة فى المعجم اللغوي ، ذلك انها معان جديدة ينبغي أن يشار اليها بايجاز فى معجم لغوي حديث (1) .

ودونك شيئا من هذه الالفاظ الجديدة :

1) **الامبريالية** : لفظة اعجمية الاصل عربت على هيأة المصدر الصناعي ، والمصدر الصناعي مادة مهمة فى العربية افيد منها كثيرا فى التوصل الى كثير من المصطلحات العلمية . والكلمة تعريب Imperialisme وهي تعني فيما تعنيه الاتجاه السياسي المتصف بالسيطرة والتوسع . وعلى هذا كانت الامبريالية درجة عليا من درجات الاستعمار . والوصف منها « **امبريالي** » وهو مقابل لـ Imperial والاصل الاعجمي القديم الذى بنيت منه الكلمة الغربية هو الكلمة اللاتينية التى ترجع الى العصور المتاخرة Imperialis وهو من Imperium وهذه الاخيرة تعني Empire وقد عربت هذه بـ « **الامبراطورية** » او « **الانبراطورية** » . **والامبريالية** كلمة يستعملها صنف كبير من الكتاب السياسيين والاقتصاديين وتظهر فى كتاباتهم للتعبير عن مصطلح أعجمي لا بد من توفيره فى العربية . وهي كسابقتها « **الامبراطورية** » من الشيوع والاستعمال .

وبعد فليس من الحق الا يعرض اصحاب المعجمات الحديثة لشيء من هذه المعربات . ومن الناحية التاريخية أن الوصف بـ « **الامبريالي** » Impérialiste كان قد عرف فى سنة 1546 بمعنى المتعصب والمنحاز للامبراطورية الالمانية . وفى القرن التاسع عشر كان هذا الوصف يعني من يتعصب للاسرة النابوليونية ، ثم صار يعني من يتعصب ويميل للامبراطورية البريطانية التوسعية .

2) **الانتاجية** : مصطلح جديد قذف به كتاب الاقتصاد يريدون به « قابلية الانتاج » Productivité ؛ وقد بني هذا المصطلح على المصدر الصناعي . واذا كان المصطلح كلمة واحدة كان خيرا من آخر مركب من كلمتين او اكثر . وينبغي أن يراعي فى ذلك اللغة التي عرب منها المصطلح .

3) **الانتهازية** : كلمة تشيع فى كتابات المعاصرين للتعبير عن نمط فى الاخلاق غير مقبول ، فالانتهازي عندهم هو النهاز للفرص بغية الحصول على منفعة . وعلى هذا كان الانتهازي من لا يؤتمن ولا يطمأن اليه ، والكلمة مما ينبز بها فى هذا العصر . والانتهازية الخلق الذى يتصف به الانتهازي ، والكلمة من غير شك ترجمة لـ Opportunisme وهي معروفة مستعملة فى كتابات السياسيين . والانتهازي من الساسة من يحسن الافادة من الظروف خدمة لصالحه .

فاذا كانت الكلمة بهذه الحدود الواضحة وبهذه الكثرة من الاستعمال فمن الغريب ان يخلو منها معجم حديث للعربية . ومن المفيد ان أشير الى الكلمة القديمة « **نهاز** » وهي وزن المبالغة لـ « **ناهز** » او **نهزة** على « فعلة » لما قد يؤديان من المعنى الجديد ولما يقتربان مما هو انتهازي » .

---

(1) اغفل « المعجم الوسيط » كثيرا من هذه الالفاظ الجديدة كما اغفل غيرها . انظر مجلة المجمع العربي بدمشق (المجلدات:الثامن والتاسع والثلاثون والاربعون) : نظرات فى المعجم الوسيط لعدنان الخطيب .

4) **الانهزاميـة** : كلمـة اخرى تشيـع فـى كتابات المعاصرين ممن يتناولون المسائل السياسية . وهي نموذج خاص من الخلق ، **فالانهزامي** هو الذى لا يحتمل مواجهة الامور الصعبة والظروف الدقيقة ، وانما يفضل الابتعـاد عـن الصعـاب ولا يستطيـع احتمال النتائج . والكلمة ترجمة للكلمة الاعجميـة Défaitisme .

واظن من المناسب ان يشـار الى مثـل هـذه المولدات الجديدة فى معجم جديد للعربية .

5) **البرجوازيـة** : مصطلح جديد بني علـى المصدر الصناعي للتعبير عن طبقة اجتماعية خاصة ، وهي الطبقة الوسطـى كما يذهـب اصحـاب علـم الاجتماع . على ان الكلمة قد تكون وصفا فيقال مثلا: **المفاهيـم البرجوازيـة** اي مفاهيم هذه الطبقة وانماط تفكيرها والكلمة تعريب للكلمة الفرنسية Bourgeoisie .

والاصل فيها كلمة Bourg وتعني المدينة فكان « **البورجوازي** » فى الاصل ساكن المدينة Bourgeois ثم تطورت فـى الاستعمـال عبر العصـور فصـار البورجوازي يعني المتمتع بحقوق خاصة يمليها عليه سكنى المدن . ثم صارت تعني الرجل المرفه المترف ، ثم هي عند العمال تعني رب العمل او السيد المطاع. وربما افادت الكلمة معنى سلبيا فى نظر طائفة من المجتمع ، ذلك ان البورجوازي لدى العمال فى بداية عصر التحول الصناعي ، انسان غير محبوب ، واذا كان غير محبوب فالكلمة تشير الى النبز من هـذه الناحية .

وهي فى كتابات علماء الاجتماع والسياسيـين صارت تعني طبقة من الناس لها افكارها ولها اخلاقها، ثم اندست معربة فى العربيـة بهـذه الخصوصيـة المعنوية . وعلى هذا كان من المفيد ان يشار اليها فى معجمنا الحديث .

6) **التقدميـة** : مصطلح جديد يفيد طريقة فى التفكير واسلوبا فى العمل وفلسفـة تجنـح الى التقدم والعزوف عن الجمـود وهي كلمـة جديـدة شاعت فى كتابات السياسيين وعلماء الاجتمـاع فى مطلع هذا القرن ولاسيما فى كتابـات الاشتراكيـين وانصار المذاهب اليسارية . والتقدمي هو القائـل بالتقدمية والسالك فى نهجها والآخذ بفلسفتها . وهـي من غيـر شـك ترجمـة لـ Progressisme **والتقدمي** يقابله لفظ Progressiste .

ومن المفيـد ان نشيـر الى ان الكلمـة حيـن استعملت فى العربية اوشكت ان تكون من لـوازم الاشتراكية . وهـذا يعنـي ان الاشتراكيـين والشيوعيين من القائلين بالتقدمية . ثم توسـع فى استخدام التقدمية حتى استقرت فى مكانها الصحيح حتى صار التقدمي هو المؤمن بالتقدمية فى المجـالات الاصلاحية . وعلى هذا كان من الضروري ان يشار الى هذه الكلمة فى صورها المختلفة فى معجم حديث للعربية .

7) **الثوريـة** : مصطلح جديد يفيد النزعة الى الثورة والاندفاع اليها . و « **الثوري** » هو المتصـف بهذه النزعة وهذا الاندفـاع . والكلمـة الاخيـرة ترجمة لـ Révolutionnaire .

8) **الجمهوريـة** : نظام معروف فى الحكم . ولا نرى حاجة للقول ان الكلمة لابد ان يشار اليها فى معجم لغوي لشيوعها واستعمالها .

9) **الديمقراطيـة** : وليس من حاجة للاسهاب فى شرح هذا المصطلح الذى صار من الشيوع بحيث صار مفهوما لدى المختص وغيره . وقد عرب الكتاب العرب هذه الكلمة واجروها على المصـدر الصناعـي للتعبير عن المعاني التي تنطوي عليها كما اخذتها امم كثيرة للتعبير عن المعاني نفسها فلابد ان نشير اليها فى معجماتنا اشارة كافية . وهي تقابل كلمة Démocratie .

10) **الديماكوجية** : وهذه كلمة جديدة اخذت سبيلها فى كتابات المعاصرين من اصحـاب العلـوم الاجتماعية . وهي معربة من Démagogie . وهي تعني فى السياسة الطريقة التى يتملق بها الجمهور والعامة .

والكلمة من اصل اغريقـي هـو Démagogia والمتمذهب بهذه الطريقة يقال له Démagogue اي الديماكوجي . ولابد من الاشـارة الى ان هـذه الكلمة قد استعملها الكتاب العـرب فى المشـرق العربي على هذا النوع من التعريب . غير ان نفرا من الكتاب قد آثر ان يلجأ الى ترجمة هذه الكلمة فاتخذ « الفوغائية » مقابلا للكلمة الاعجمية . وهذه الكلمـة الاعجمية المنسوبة الى « الفوغـاء » اريد بها النبـز والاحتقار حين جعلت مقابلا للأعجمية . ومن الضروري

ان يشار في معجمنا الحديث الى هذه الكلمة ونظائرها مما هو جار في استعمال الكتاب العرب عملا بالنهج العلمي لدى يؤرخ الالفاظ في علم المعجمية الحديثة.

11) **الفوضوية** : وهو اصطلاح جديد يريدون به سيطرة الدهماء والغوغاء . وهو في استعمال الكتاب العرب يتخذ شيئا من النبز والاحتقار ، في بعض الاحيان . وهو مذهب له انصار في المجتمعات الغربية الحديثة وهؤلاء اصحاب افكار غريبة . والكلمة ترجمة لـAnarchisme وقد بنيت هذه الكلمة الجديدة في العربية على كلمة « **فوضى** » المعروفة ، وينبغي ان نعرض لهذه الكلمة التي تقلبت في الاستعمال ، فالمعروف أن « فوضى » جمع على « فعلى » والاصل فيها « فضى » جمع فضيض مثل شتى جمع شتيت ثم عرض لها الابدال ، وكثيرا ما يعرض هذا النوع من الابدال . ثم ان المعنى يدل على هذا الاصل ، فكلمة « فوضى » تعني في الاصل « المتفرقين » والى هذا ذهب الشاعر القديم :

لا يصلح الناس **فوضى** لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سادوا

اقول : ان هذه الكلمة اصابها التحول والتبدل بسبب الاستعمال الكثير ، فقد انتقلت من الجمع الى المصدرية اذ المعروف ان « فوضى » في لغتنا الحديثة تعني « عدم النظام » وما ابعد هذا عن المعنى القديم. وفي هذا عرض للتطور الذي يعرض للغة .

12) **الراسمالية** : مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصاد الحديث . والكلمة مركبة منحوتة ، فان « **راسمال** » بالهمز ، او « **راسمال** » بتسهيل الهمزة كلمة جديدة ، وكأن تركيبها قد اغفل النظر اليه فصارت تجمع على « رساميل » . على ان تركيبها ما زال منظورا اليه لدى من يجمع الكلمة على « رؤوس اموال » . ومن الطريف ان يشار الى ان العامية العراقية قد اغفلت النظر الى تركيب هذه الكلمة فاشتقت منها فعلا هو « **رسمل** » بمعنى ان البضاعة المبيعة قد رذت « راسمالها » اي انها لم تخسر ولم تربح .

13) **الرجعية** مصطلح جديد مبني على طريقة المصدر الصناعي للتعبير عن معنى جديد هو الميل للافكار القديمة وعدم الاقبال على الجديد من الفكر والعمل. ووصف نفر من الناس بالرجعية من باب النبز والاحتقار ، ولا يصفهم بذلك الا اصحاب التقدمية والقائلون بالفكر الجديد . وعلى هذا تكون الرجعية ضد التقدمية .

والكلمة ترجمة للكلمة الاعجمية « Réaction » . وصاحب هذه الصفات «**رجعي**» Réactionnaire . ولما كانت هذه الكلمات مما يصف بها التقدميون خصومهم فقد يفرط في استعمالها . وعلى كل حال لابد من الاشارة الى هذه المولدات اللفوية في المعجم الحديث أو على الاقل في المعجمات الخاصة كمعجم المصطلحات السياسية ومعجم المصطلحات الاقتصادية ونحو ذلك .

14) **الكولونيالية** : وهو مصطلح جديد معرب على هذه الطريقة استعمله الكتاب السياسيون. والمراد به « **الاستعمار** » وكأن هؤلاء عدلوا عن الاستعمار لعمومه وشموله وعدم تحديده للمراحل السياسية والحدود التي يجري عليها استعباد الشعوب . وعند هؤلاء ان « **الكولونيالية** » الصق بنوع خاص من السيطرة لا تؤديه كلمة « استعمار » وهو من « Colonialisme » .

ولا ندري ايكتب لهذه الكلمة المعربة الشيوع والبقاء ام يطويها الزمن كغيرها مما يقذف به الكتاب لحاجة طارئة تقتضيهم ذلك .

15) **المحسوبية** كلمة معروفة يكثر استعمالها في لغة الدواوين ويراد منها ان يكون لبعضهم حظوة لدى جماعة من الحكام والرؤساء فهؤلاء يقدمونه ويخصونه بالمنافع ويؤثرونه على غيره مراعاة له على نحو يبتعد عن العدالة والنصفة دون حساب لمصالح الآخرين . والكلمة ترجمة لـ Favoritisme .

16) **المسئولية** : مصدر جديد يراد به الاضطلاع بالامر وتحمل العواقب والتهيؤ للعمل الجاد بحيث أن صاحب المسئولية مسئول عما يقوم به . و « **المسئول** » نظير الرئيس والحاكم والمتصرف بالامور . وهذا مما ينبغي ان ينبه عليه في كتب اللغة التي تعنى بالجديد من المعاني . والمسئولية يقابلها بالفرنسية Responsabilité كما يقابل كلمة مسئول Responsable .

17) **النضاليـة** : وهي كلمة جديدة مبنيـة على طريقة المصدر الصناعي للدلالـة على الاستعـداد الطبيعي للعمل الشاق في سبيل تحقيق هدف سام كالاعمال الوطنية عامة والنضال ضد المستعمر مثلا. ومجيء الكلمة كما قلت على طريقة المصدر الصناعي يشعر ان هذه الكلمة اصبحت مصطلحا يفيد « القابلية على النضال » او « الروح النضالية » (Militantisme) (1)

18) **الوصوليـة** : من المصطلح الجديد وهو مصدر صناعي من « الوصول » للدلالة على ما في « **الوصولي** » من الخلق والعمل . والوصولي من يعمل كل شيء ويسوغ لديه كل عمل في سبيل الوصول الى بغيته . والوصولي من الصفات الجديدة التي يوصف بها هذا النوع من خلق الله . وهو خلق رذيل، ومن هنا كانت الوصولية نبزا وشتما وهي تحضر في كتابات السياسيين في عصرنا . وعلى هذا كان من الضروري الاشارة الى هذا النوع من المولد الجديد . والوصولية ترجمة لـ « Arrivisme » .

19) **مؤتمـر** : وهذا مصطلح جديد يراد منه ان يكون مقابلا لـ« Congrès »وهو الندوة التي يجتمع فيها نفر من الناس يتشاورون في امر ما . وهو الائتمار والاستئمار والتآمر والمؤامرة وهو التشاور. وعلى هذا كان **التآمر والمؤامرة** بمعناها الحديث وهو المكيدة والخديعة ، غير معروف في اللغة القديمة . غير ان شيئا من هذا المعنى الحديث وجد في « الائتمار » جاء في التنزيل : « ان الملأ **يأتمرون بك** ليقتلوك » قال ابو عبيدة : اي يتشاورون عليك ليقتلوك . وعلى هذا كانت الكلمتان « مؤامرة » و « تآمر » من الكلمات المعروفة التي شاعت وكثر استعمالها في المعنى المشار اليه في اعلاه وهي تعد من باب المولد الجديد الذي ينبغي ان ينص عليه .

20) **العمـلاء** : وهي من كلمات النبز والشتم الجديدة . والكلمة جمع مفردها « **عميل** » والمراد به من يعمل لمصلحة دولة اجنبية ضد مصلحة وطنه . وعلى هذا كانها تقابل « جاسوس » من الالفاظ القديمة . ولا يوجد في العربية صفة على « فعيل» من هذه الكلمة ، فهي جديدة في صيغتها جديدة في معناها . وهي تقابل Agent الاعجمية. والكمة من الشيوع في الاستعمال بحيث يجب ان ينص عليها اذا ما اريد تسجيل العربية تسجيلا تاريخيا .

21) **الرائـد** (Pionnier) : وهي كلمة قديمة . والرائد الذي يرسل في التماس النجعة وطلب الكلأ ، وفي حديث امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) في صفة اصحابه : « يدخلون **رودا** ويخرجون ادلة » اي يدخلون طالبين للعلم ملتمسين للحلم ويخرجون هداة للناس . واصل الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث .

هذا هو استعمالها المأثور عن العرب الاقدمين ، اما الاستعمال الحديث لهذه الكلمة ففيه شيء من الجدة ينبغي ان يشار اليه ولا يكتفى بتخطئته فيقال: « الزعيم الرائد » في الكلام على زعيم من الزعماء ، كما يقال : الصحيفة الرائدة او الفكرة الرائدة . وهذا نوع من الاستعمال جديد يوصل اليه بشيء من اللطف في فهم التشبيه والمجاز .

هذه جملة مصطلحات جديدة لها مكانها في اللغة الحديثة فهي تستعمل في مقامات مخصوصة بحيث صارت جمهرة القراء تقرؤها كل يوم وتسمعها كل يوم . ولذا كان من الواجب ان تدون هذه الاستعمالات مقرونة بالظروف والاحوال .

ان الجديد الذي نلاحظه في لغتنا الحديثة آخذ بالازدياد لما عرضنا في مقدمة هذا البحث من اسباب. أما القول بأن هذا من لغة الجرائد نبزا له وابعادا فذلك غير سديد . ان طائفة كبيرة من الالفاظ القديمة قد انصرفت الى معان جديدة فينا حاجة ماسة اليها .

فان لم نقبل هذه المعاني الجديدة فكيف نعمل ازاء التأمين ، والتصميم والتخطيط والصمود والمسح والتغطية والتوعية والارضية والخلفية واشياء اخرى ؟ وساعود لابحث في هذه الالفاظ الجديدة في مبحث قابل والسلام عليكم .

---

(1) وردت كلمة Militantisme في معجم لاروس : « Dictionnaire du Français Contemporain »

الأضداد في اللغة

الدكتور حسين

- 3 -

خالفت اضداد ابي حاتم السجستاني ما سبقها من كتب فى العنوان ، اذ لم تقتصر على الاضداد وحدها ، بل هي « كتاب المقلوب لفظه فى كلام العرب ، والمزال عن جهته ، والاضداد » . والمراد بالجزء الاول من هذا العنوان ما يسمى « المقلوب » مثل تهيبني الطريق وبالجزء الثاني الاضداد نفسها مثل الجزء الثالث ، فالمزال عن جهته هو ما وجه وجهة مضادة غير معناه الاصيل . فالعنوان يصرح اذن ان الكتاب خاص بالاضداد ، والعبارات المقلوبة. ولكن هذا التقسيم لم يثمر ما يماثله فى متن الكتاب.

وتشتمل اضداد ابي حاتم على 170 ضدا ، اخذ منها 116 من قطرب ، واتفق ابن السكيت معه فى 54 منها . ولم يشترك ابو حاتم مع ابن السكيت فى شيء من بقية الاضداد التى لم يأخذها من قطرب ، وقدرها 54 ايضا . فلم يقع بينهما اشتراك الا فيما اخذاه من قطرب . ولكن ابا حاتم لم يأت بهذه الاضداد من عنده ، بل اخذه منها من ابي زيد (166 ، 211 ، 216 ، 243 ، 244) ، و 3 من الاصمعي (214 ، 267 ، 271) ، واثنين من ابي عبيدة (106 ، 118) وواحدا من التوزى (180) وآخر من ابي زيد والاصمعي معا (275) . واشترك مع ابن الانباري فى 28 ضدا ، لا ندري مصدرها على وجه اليقين ، وان ورد فيها اسماء بعض اللغويين .

اما ما انفرد به ابو حاتم عن قطرب وابن السكيت فاضداد قلائل ، يمكن ان نفرعها الى الانواع التالية :

ا ـ ما يتبع صيغة انفعل وافتعل من الاجوف والمضاعف ، وهما الصيغتان اللتان زادهما هذا المؤلف (175) .

ب ـ ما يتبع صيغة فعول وفعيل (158 ، 160 ـ 165 ، 173 ، 203 ، 204) . وسبب انفراده تجديده فى امثلتهما .

ج ـ اضداد كان يشك فيها (246 ، 272) .

د ـ اخطاء (209 ، 231) .

وظننت فى باديء الامر انه حذف ما حذف من اضداد ابن السكيت ، لانه لم يرض عنها او عن نوع الاضداد الذى تمثله . ولكن الدراسة بينت انه ذكر من الاضداد ما هو من نوعها . فقد حذف بعض اضداد مجازية (65 ـ 69 ، 71) واضداد اللغات (57 ، 59) واضداد التطير (96) واضداد المتعلقات (13) . واضداد فعول وفعيل (87 ، 30) وغيرها. وكان من هذه الاضداد التى حذفها ما رواه ابو عبيدة (60 ، 67 ، 70 ، 71 ، 100) وابو عمرو الشيباني (12 ، 14 ، 56) والاصمعي (10 ، 15) وقطرب (98) . وكان فيما زاده اضداد الصيغ المختلفة من افعل وفعول ومفتعل وتفعل (246 ، 162 ـ 165 ، 175 ، 203 ، 231) واضداد مجازية (273)

واضداد اللغات (227) واضداد المتعلقات (236) وغيرها . أما الفرق الواضح بينهما فكثرة اعتماد ابن السكيت على أبي عبيدة وابي عمرو الشيباني ، واكثار ابي حاتم الرواية عن قطرب وابي زيد والاصمعي .

وجمع أبو حاتم في آخر كتابه ثلاثين ضدا ، افردها عن بقية الكتاب لشكه فيها . ووجه اليها نقدا عاما اذ قال (1) : « وقد ذكر بعض اصحابنا حروفا لا علم لي بها : اتقال أم لا » . وكان من هذه الاضداد ما شاركه فيه ابن الانباري (257) وما شاركه فيه قطرب وابن الانباري (252) ، وما شاركه فيه الاصمعي وابن السكيت وابن الانباري والصغاني (187) .

ولا تختلف الخطة التي سار عليها ابو حاتم في معالجة الاضداد ، في معالمها الكبرى وان اختلفت في بعض التفاصيل ، عما رايناه في اضداد ابن السكيت. فهما متفقان في تقديم المادة ، فمعنييها ، فشواهدهما تارة ، وتقديم المادة فاحد المعاني وشواهده ، فالمعنى الآخر وشواهده . قال (2) : « بيضة البلد . يقال : فلان بيضة البلد : اذا ذم ، اي قد انفرد ، ويقال ذلك في المدح ، زعموا . فأما في الذم فقال الراعي لعدي بن الرقاع العاملي :

تأبى قضاعة ان تعرف لكم نسبا
وابنا نزار فانتم بيضة البلد

قال ابو حاتم : يجوز ان يكون قول الراعي هزءا ، يهزأ بهم يقول : انتم سادة البلد ، وهو يهزأ بهم . وقال حسان لمزينة ، وقد قتلوا اباه فجعلهم جلابيب ، اي سفلة :

أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
وابن الفريعة امسى بيضة البلد

وقال المتلمس :

لكنه حوض من أودى باخوته
ريب المنون فاضحى بيضة البلد

واما قول ابن الزبعرى :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد مناف

فليس من هذا في شيء» . وقال (3) : «زهق. الزاهق : الميت . يقال : زهقت نفسه وقال تعالى : « وتزهق انفسهم » و « قل جاء الحق وزهق الباطل » وزهق بين يدي القوم : مضى وتقدم . وقالوا : والزاهق : السمين ، قال زهير :

القائد الخيل منكوبا دوابرها
منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقلما كان يسلك الطريقة الثانية ، الا في المقتطفات التي اخذها من غيره . وكان في بعض الاحيان يترك الطريقتين ، ويذكر المادة كما تاتي . قال (4) : « ظهر . بطن : وقال الحسن رحمه الله : (بطائنها من استبرق) . ظواهرها . وقالوا : ظهر السماء : وجهها ، وبطن السماء كذلك ، وقرات القرآن عن ظهر قلب . وعن ظهر اللسان . قال الشاعر :

وان من القول التي لا شوى لها
اذا زل عن ظهر اللسان انقلابها

وقالوا في قوله تعالى : « فيظللن رواكد على ظهره » اي على وجه البحر . وقالوا : امر ظاهر عنك : اي زائل ، قال الهذلي ابو ذؤيب :

وعيرها الواشون اني احبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

اي زائل . ويقال : النعمة ظاهرة عليه : اي لازمة له » . فالمعاني والشواهد كلها مختلطة لا نظام لها .

---

(1) ص 148 .
(2) 171 .
(3) 195 .
(4) 240 .

واعتمد ابو حاتم فى علاجه على الشواهد ولكنه كان يقلل منها فى الشواهد التى انفرد بها عن ابن السكيت ، ولم يظهر لي انه اخذها من غيره . ولا يختلف الاستشهاد عند ابي حاتم عنه عند من سبقه ، طريقة وانواعا ، غير انه اكثر من الآيات القرآنية ، وقلل من الامثال والاقوال . وهذه بعض امثلة الاستشهاد عنده . قال (5) : « الآدم من الابل ومن الظباء : الابيض . ومن كل شيء بعد ذلك : غير الابيض على ما يقول الناس . يقولون : رجل آدم — (اسمر) وظبية ادماء : بيضاء . وبعير آدم : للابيض ، وناقة ادماء » . وقال (6) : « قد قالوا : بصير ، للبصير الاعمى ، وللزنجي ابو البيضاء . وقال لي رجل من شق الاحساء : لي ام بصيرة ، يريد عمياء .

ولكن ابا حاتم خالف من قبله فى ناحية واحدة من الشواهد ، هي ايراده احيانا السند فى تفسير الآيات والاحاديث . قال (7) : « حدثني ابو عامر العقدي قال : حدثني سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار : ان ابن عباس قرأ : (وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) ... » .

وكان فى العلاج يحاول الا يستطرد كما كان يفعل ابن السكيت ، وان يلتزم بما اتصل بالاضداد وحده .

ولكن هذا لم يمنعه من الالتفات الى المشتقات المتصلة بالاضداد ، والعناية باللغات ، كما نرى فى قوله فى « ند » (8) : « النخل ، يؤنثه اهل الحجاز ويذكره سائر الناس . ويؤمل : من املته ، مخففة ، ويقال : هو مأمول ومن قال املته ، فشدد الميم . قال : هو مؤمل . وقالوا للواحد : شبه وشبيه ، وعدل وعديل . وقد يقال للعدل من الاحمال : عديلة : ايضا » .

وكان الى جانب هذا يلتفت احيانا الى بعض القواعد والاحكام اللغوية والنحوية ، ويذكرها . قال : « قال ابو حاتم : اجتمعت العرب على ان (ند) الشيء مثله وشبهه وعدله ، ولا اعلمهم اختلفوا فى ذلك ... والجمع انداد .. وكثير من العرب يجعلون الند ايضا للجمع من الرجال والنساء. وللاثنين من الرجال والنساء ، كما يجعلون المثل والشبه والعدل والضد .. ويقال : ند ، ونديد ، ونديدة بالهاء ، كما يقال فى الحديث : « اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » : اي كريم قوم ... قال تعالى: « كلا سيكفرون بعبادتهم ، ويكونون » اي تكون الالهة ضدا عليهم . وانما جعل الضد كالمصادر التى تكون للواحد والجمع سواء . كقولك : القوم رضى ، والقوم عدل . وهم جنب ... وهذا مشهور فى المصادر خاصة . ويقال : قوم كرم ، فى معنى : كرام وقالوا : قوم شرط : وقزم : للئام ، وقد يجمع فيقال : قزامى واشراط » .

وكتاب الاضداد لابي حاتم اكثر انتظاما من كتاب ابن السكيت ، اذ ينظم اضداد فعول ، وافتعل وانفعل من الاجوف ، وافتعل من المضعف الثلاثي ، ولم يظهر ذلك التنظيم بهذا البروز فى اضداد ابن السكيت . يضاف الى ذلك انه آخر مجموعة كبيرة من الاضداد التى شك فيها الى آخر اضداده ، وصرح بشكه فيها . ولكن تسرب اليه الاختلال فى مادة « ضنين وظنين » التى لا ندري سبب وضعه اياها فى الاضداد ، وفى مادة « قعد » التى كررها مرتين (9) .

يضاف الى ذلك ان ابا حاتم فى اضداده امتاز على ابن السكيت امتيازا كبيرا ، دل على قدرة فائقة . وقد ظهرت آثار هذه القدرة فى النقود التى عقب بها على كثير مما أورده من اضداد . وعندما نتتبع هذه النقود نخرج بالملاحظات التالية :

اقام ابو حاتم الشطر الاكبر من نقده ، على عدم معرفته هو بالمعنى المقول به للفظ . وهو يقيم من نفسه مثالا للغويين ، فيعني بقوله : « لا أعرفه » ان اللغويين لا يعرفونه . قال مرة (10) « اجتمعت

---

(5) 176 .
(6) 225 .
(7) 111 .
(8) 106 .
(9) 212 ، 261 .
(10) 106 .

العرب يجعل الضد مثل الند ، ويقول هو يضادني ، أعلمهم اختلفوا في ذلك ... (و) زعم قوم أن بعض العرب يجعل الند مثل الند ، ويقول هو يضادني ، في ذلك المعني ، ولا اعرف انا ذلك . فأما المعروف في الضد في كلام العرب فخلاف الشيء ، كما يقال: الايمان ضد الكفر ، والعقل ضد الحمق .. » .

وكان في اكثر الاحيان يأتي بهذا النقد في الاضداد المتعلقة بالقرآن تحرجا منه وورعا . مثال ذلك قوله (11) : « كان ابو عبيدة يقول : خاف من الخوف ، ومن اليقين . وكان يقول : « فان خفتم الا تعدلوا » يريد ايقنتم . ولا علم لي بهذا لانه قرآن ، فانما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدري لعله ليس كما يظن » .

والدعامة الثانية عنده . تغليط القائل ، مثل قوله (12) : « قال ابو عبيدة : الخنذيذ من الخيل : الفحل والخصي . وغلط ، انما الخنذيذ الفائق من الخيل ، ومن كل شيء . ويقال خطيب خنذيذ ، وشاعر خنذيذ . وقال خفاف بن عبد شمس :

وبراذين كابيات واتنا
وخناذيذ خصية وفحولا

الخصية : الخصيان . فاراد منها خصيان ومنها فحول . وقال بشر بن ابي خازم في نعت فرس :

وخنذيذ ترى الفرمول منه
كطي الزق علقه التجار »

وعثرت على نقد واحد من ابي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد ، قال (13) : « قال ابو عبيدة: أسررت الشيء : اخفيته واظهرته ايضا . وكان يقول في هذه الآية : (واسروا الندامة لما راوا العذاب) : اظهروها . ولا اثق بقوله في هذا ، والله اعلم . وقد زعموا أن الفرزدق قال :

فلما راى الحجاج جرد سيفه
أسر الحروري الذي كان اضمرا

ولا اثق ايضا بقول الفرزدق في القرآن . ولا ادري لعله قال : « الذي كان اظهرا » اي كتم ما كان عليه . والفرزدق كثير التخليط في شعره ، وليس في قول نظيريه جرير والاخطل شيء من ذلك. فلا اثق به في القرآن » .

كذلك عند ابي حاتم نقد واحد قام على أن الضد من احتيالات النحويين قال (14) : « قال قوم : سوى الشيء ، غيره ، وسواه : هو هو . وقال قوم : بل سوى تكون زيادة احيانا ، كقول ابي النجم : « كالشمس لم تعد سوى ذرورها » يريد لم تعد ذرورها ، أي أن ذرت ، اي طلعت . وانشدنا ابو زيد :

اتانا فلم نعدل سواه بغيره
رسول اتى من عند ذي العرش هاديا

يعني النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى فلم نعدله بغيره . وقال الاخفش : اراد فلم نعدل سواه بغير سواه ، فالهاء ترجع الى سواه . وهذا من احتيال النحويين ، وكلام العرب على غير ذلك».

— * —

كتاب ابن الانباري

وصل الينا ايضا « كتاب الاضداد » لابي بكر محمد بن القاسم الانباري . وقد قدم المؤلف ـ كأبي حاتم ـ بين يدي كتابه مقدمة ، صدرها بالحمد والصلاة ، ثم عرف الاضداد ، وذكر ما دفعه الى التاليف فيها ، وقسم الكلام العربي تمهيدا لوضع الاضداد في موضعها اللائق بها ، وابان نشأتها الاولى في اللغة . ونستبين من الاطلاع عليها أن ابن الانباري ادخل في مقدمته مقدمة قطرب كلها .

وكشف ابن الانباري عن النهج الذي اختطه في كتابه ، فقال (15) : « وقد جمع قوم من اهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا في احصائها كتبا . نظرت فيها . فوجدت كل واحد منهم اتى من الحروف

---

(11) 117 .
(12) 115 .
(13) 168 .
(14) 181 .
(15) ص 13 .

بجزء . واسقط منها جزءا ، واكثرهم امسك عن الاعتلال لها . فرايت ان اجمعها فى كتابنا هذا ، على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه، اذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد » .

ووفى المؤلف من الخطوة الاولى من نهجه . فقد ذكر جميع ما فى اضداد ابن السكيت وابي حاتم، ما عدا قريبا من 30 اهملها لشكه فيها – وجميع ما فى اضداد قطرب غير 12 ضدا . وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها ، واتفق معه ابو حاتم فى الباقيين 77، 164 . وزاد عليها اضدادا اخرى ، فبلغ المجموع 357 . وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه ، الى جانب ما أورده من فوائد فى اثناء الحديث عن الاضداد نفسها .

اما « حسن البيان » فظهر اولا فى الخطة التى رسمها لنفسه ولم يحد عنها تقريبا . واوجزها فى الابتداء بالتنبيه على ان اللفظ من الاضداد ثم تقديم معنييه المتضادين ، ثم اتباعهما بالشواهد ان كان بين يديه شيء منها . وها انذا افتح الكتاب عفوا ، لالتقط الضد الذى يكون فيها . قال (16) : « وتأثم حرف من الاضداد . يقال : قد تأثم الرجل ، اذا أتى ما فيه المأثم ، وتأثم اذا تجنب المأثم ، كما يقال : قد تحوب الرجل اذا تجنب الحوب . ولا يستعمل تحوب فى المعنى الآخر . اخبرنا محمد بن احمد بن النضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة ، عن هشام قال : قال الحسن ومحمد : ما علمنا احدا منهم ترك الصلاة على احد من اهل القبلة تأثما من ذلك ، اي تجنبا للمأثم ..» وكان فى بعض الاحيان يجمع بين كلام قطرب والاصمعي فى سياق واحد ، كما فعل غيره ايضا (ربب) .

وظهر « حسن بيانه وكثرة فوائده » فى حشو المواد . فقد عني بابانه اصل الاضداد وما اتصل بها من مشتقات فى احيان كثيرة ، مثل (17) : « وقال الفراء : حسبت اصله من حسبت الشيء اي وقع فى حسابي . ثم كسرت السين منه ، ونقل الى معنى الشك ... وقال الفراء : خلت اصله من الخيال اذا تخيل لك الشيء ، ثم اعمل فى الاسم والخبر ، ونقل الى معنى الظن .. » .

وعنى فى بعض الاضداد بايراد معانيها الاخرى غير المتضادة ، مثل (18) : « الظن يقع على معان اربعة : معنيان متضادان : احدهما الشك . والآخر اليقين الذى لا شك فيه .. والمعنيان اللذان ليسا متضادين : احدهما الكذب ، والآخر التهمة . فاذا كان الظن بمعنى الكذب قلت ظن فلان . أي كذب ، قال الله عز وجل : « ان هم الا يظنون » .

واكثر فى علاجه للمواد من ايراد الاحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله . قال فى « توسد (19) » : « وانشد الفراء :

يا رب ساريات ما توسدا
الا ذراع العنس او كف اليدا

اي كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة . وموضع اليد خفض باضافة الكف اليها ، وثبتت الالف فيها . وهي مخفوضة ، لانها شبهت بالرحى والفتى والعصا، وعلى هذا قالت جماعة من العرب : قام اباك ، وجلس اخاك ، فشبهوها بعصاك ورحاك وما لا يتغير من المعتلة . هذا مذهب اصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصب بكف ، وكف فعل ماض من قولك : قد كف فلان الاذى عنا » . وقال : « الأون حرف من الاضداد ، يقال : الأون ، للرفق والدعة ، والأون : للتعب والمئونة ... والمئونة اخذت من الأون ، وهو التعب والنصب. والاصل فيه مأونة مفعلة، من الأون، فنقلت ضمة الواو الى الهمزة ، ويجوز ان تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة فاذا قالوا هو عظيم المئونة فمعناه : عظيم التسكين والرفق . ويجوز ان تكون المئونة مفعلة من الأين ، والأين التعب. قال الشاعر :

---

(16) 105 .
(17) 4،3 .
(18) 1 .
(19) 115 .

لا يفمز الساق من أين ولا نصب
ولا يعض على شرسوفه الصفر

واصلها على هذا القول مأينة ، فحولوا ضمة الياء الى الهمزة ، وجعلوا الياء واوا لانضمام ما قبلها ، كما قال الآخر :

وكنت اذا جاري دعا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق مئزري

فمضوفة مفعلة من الضيافة ، واصلها مضيفة ، ففعل بها ما فعل بمئونة . وتكوين المئونة فعولة من منت الرجل ، فتهمز الواو لانضمامها ، كما قال امرؤ القيس :

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها
نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فنئوم فعول من النوم ، همز الواو لانضمامها » وامثال ذلك في الكتاب كثيرة .

وعنى في الحشو ايضا باللغات . فكان يقول : « اخبرنا أبو العباس قال : يقال : هو الباز وهو البازي ، فمن قال : هو الباز ، قال في التثنية : هما البازان والجمع البيزان ، على مثال قولهم : الخال والخيلان ، ومن قال : هو البازي قال في التثنية : هما البازيان ، وفي الجمع البزاة على مثال القاضي والقضاة . قال ابو بكر : في الباز لغة ثالثة لم يذكرها في هذا الكتاب وذكرها لنا في بعض أماليه قال : ويقال : هو البأز ، بهمز الالف مثل الفأس والكأس ، وتجمعه في ادنى العدد من ثلاثة الى عشرة فتقول : ثلاثة ابؤز ، كما تقول : افؤس واكؤس . فاذا كثرت فهي البؤوز ، كما تقول كؤوس وفؤوس . فجمع القلة على افعل مثل الأفلس والأبحر، وجمع الكثرة على الفعول مثل الفلوس والبحور . قال أبو بكر : في الباز لغة رابعة ، يقال: هو البازي ، بياء مشددة تشبه ياء النسبة .. » .

وكثر في حشوه النقد وخاصة نقد قطرب وابن قتيبة . واقام ابن الانباري كثيرا من نقده على تعارض الاقوال المختلفة من اللغويين . فأورد اقوالهم وقارن بينها ليخلص الى الراي الصواب عنده ، مثل (20) : « القرء حرف من الاضداد . يقال : القرء للطهر ، وهو مذهب أهل الحجاز ، والقرء للحيض ، وهو مذهب أهل العراق . ويقال في جمعه اقراء وقروء . وقال الاصمعي عن ابي عمرو : يقال : قد دفع فلان الى فلانة جاريته تقرئها ، يعني أن تحيض ثم تطهر للاستبراء . ويقال : القرء هو الوقت الذي يجوز ان يكون فيه حيض ، ويجوز ان يكون فيه طهر ... ويقال : قد اقرأت النجوم اذا غابت . قال أبو بكر : وهذا حجة لمن قال : الاقراء الاطهار ، لانها خرجت من حال الطلوع الى حال الغيبة » وقال الاصمعي وابو عبيد : يقال : قد اقرأت المرأة اذا دنا حيضها ، واقرأت اذا دنا طهرها . قال ابو بكر : هذه رواية أبي عبيد عنهما . وروى غيره : اقرأت اذا حاضت ، واقرأت اذا طهرت . وحكى بعضهم قرأت ، بغير الف في المعنيين جميعا . والصحيح عندي ما رواه ابو عبيد » .

وقد رأينا — فيما سبق — ان ابن الانباري نقد بعض الاضداد ، لان المعنيين لصيغتين مختلفين لا صيغة واحدة مثل فعل وافعل ، او لان المعنى الثاني للفظ غير شائع الاستعمال ، او لعدم وجود شواهد تدعم المعنى الثاني . ويمكن ان نضيف اليها ما يحدد السياق معناه ، مثل (21) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم اليت المرأة تألى ، اذا عظمت اليتها ، واليت الشاة وغيرها ، اذا قطعت اليتها . قال ابو بكر : وليس هو عندي من الاضداد ، لان كل واحد من الحرفين ينفرد بمعنى واحد ، ولا يقع على معنيين متضادين » .

واذا قارنا بين نقد أبي حاتم ونقد ابن الانباري ، وجدنا الاول منهما معتدا بنفسه ومعلوماته ، عنيفا في هجومه ، ولم نجد شيئا من ذلك عند الثاني . فابن الانباري لا يقارن اقوال قطرب او غيره من مؤلفي الاضداد بمعارفه هو كما يفعل ابو حاتم بل باقوال غيره من اللغويين . ولم يغلط ابن الانباري احدا ، ولا حجب ثقته عنه ، ولا عد اقواله من الاحتيالات كما فعل أبو حاتم . وبينا كان ابو عبيدة هدف نقد أبي حاتم الاول ، كان ابن قتيبة الهدف الاول لنقد ابن الانباري .

ومن مظاهر قدرة ابن الانباري في التمحيص حذفه ما حذف من اضداد ابن السكيت وابي حاتم . فقد حذف من الاول ارقام 14 ، 17 ، 87 ، 96 ،

(20) 8 .
(21) 322 .

100 ، 103 ، 105 . وكلها كان ابو حاتم قد حذفها غير رقم 94 الذى اورده فيما شك فيه من اضداد ، ولعل ذلك الذى دعا ابن الانباري الى تركه .

وحذف من ابي حاتم ثلاثة انواع من الاضداد : اولها ما انفرد به ، مثل 246 ، 272 ، 244 ، 266 ، 275 ، 166 ، 109 ، 242 ، 173 ، 236 . واكثرها مما شك فيه ابو حاتم نفسه ، او اقيم على اساس خاطيء 109 ، 166 ، 180 ، 236 . ثانيها بعض ما كان على صيغة فعول ، مثل 160 – 163 . ثالثها بعض ما كان على صيغة افتعل وانفعل من الاجوف ، او افتعل من المضاعف ، مثل 118 ، 175 . وكان حذفه لما حذف من هذه الصيغ اكتفاء بما ذكره هو منها لا لشكه فيها .

واخيرا وفى « باستيفاء الاحتجاج واستقصاء الشواهد » . فاتى بالانواع المختلفة من الشواهد ؛ من القرآن ، والحديث ، والشعر ، والامثال والاقوال . كما فعل سابقوه . وقد مرت علينا امثلة ذلك . وعني فى كثير من الآيات والاحاديث وتفسيرها ، بايراد سند اقواله . وكانت عنايته هذه اكبر من عناية ابي حاتم . فكان يقول (22) : « اخبرنا ابو محمد جعفر بن احمد بن عاصم قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا ابو عبد الرحمن عثمان بن عبد الرحمن الجزري قال : حدثنا عبيد الله بن ابي العباس ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : سأل نافع بن الازرق عبد الله بن العباس عن قول الله عز وجل : (وانتم سامدون) فقال : معناه لاهون . فقال نافع : وهل كانت العرب تعرف هذا فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهي تبكي عادا حيث تقول :

بعثت عاد لقيما
وابا سعد مريدا

وابا جلهمة الخير
ـر فتى الحي العنودا

قيل : قم فانظر اليهم
ثم دع عنك السمودا

وكان يأتي بالشواهد على الامور الاستطرادية فى كلامه . ويعلق على الشواهد ويشرحها ويطيل احيانا ، وقد يبين ما فى الشواهد الشعرية من روايات . قال مثلا فى مادة « ماتت بجمع » (23): « وقال الشاعر يذكر ماء ورده :

وردناه فى مجرى سهيل يمانيا
بصعر البرى من بين جمع وخادج

فالجمع : التى فى بطنها ولد ، ويقال : بجمع بكسر الجيم . والخادج : التى القت ولدها ويقال : قد خدجت الناقة تخدج اذا القت ولدها قبل اوان النتاج وان كان تام الخلق ، واخدجت تخدج اذا القته ناقص الخلق وان كان لتمام » . وقال فى « طرب » (24) : « وقال لبيد فى معنى الحزن .

واراني طربا فى اثرهم
طرب الواله او كالمختبل

معناه : واراني حزينا . ويروى : او كالمحتبل ، بالحاء : اي كالذى يقع فى حبالة الصائد » . والشواهد فى الواقع كثيرة عنده جدا ، معنى بها لدرجة كبيرة . فكان يستقصي الاستشهاد على جميع اضداده . ولم يترك منها الا الاضداد التى نقلها عن غيره بدون ان يكون مستشهدا عليها ، او فى المعاني المشهورة . وكان يصرح بانه لا يستشهد على المعنى المشهور ، لانه ليس فى حاجة الى ذلك . فكثيرا ما ترى هذه العبارة التالية عنده :

«لا يحتاج فيه الى شاهد لشهرته عند الناس ». او « لا يحتاج مع شهرته الى ذكر شواهد له » او « شهرته تغني عن اقامة الشواهد عليه » وما ماثلها.

يتضح من كل ذلك ان قول دائرة المعارف صحيح حين وصفت اضداد ابن الانباري بانها اهم كتب الاضداد . فهذا الكتاب قريب من كتاب ابي حاتم ، ولكنه يفوقه فى كثرة المواد وحسن العلاج ، وكثرة الشواهد وتنوعها ، ودقة النقد وكثرته ، وفى الاستطرادات التى تحوي كثيرا من الفوائد النحوية ، عن ائمة الكوفة .

---

(22) 17 .
(23) 152 .
(24) 57 .

ولا يعيب الكتاب غير بعض الاختلال ، الذى كان له اربعة مظاهـــر :

1 ــ الاضطراب : فالمؤلف ينظم صيغة فعـول لان قطربا نظمها ، ولا ينظم فعيل ، لان هذا لم ينظمها . وابو حاتم نظـم صيغتي افتعل وانفعل من الاجوف والمضاعف ، والمؤلف لا يفعل ذلك (262 ، 263) . ولا يبين انها قاعدة عامة فيما جاء على هذه الصيغة . ويذكر ابن الانباري كثيرا من الالوان على انها اضداد ، ولكنه يفرقها فى اماكن مختلفة ، وحقها الجمـع فى موضع واحد . ونتج عن هذا تكرار الكلام عن بعضها . وينطبق الكلام نفسه على الحروف والادوات التى عدها من الاضداد . ويتصل بذلك تفريقه اشباه الاضداد ، وكان واجبا عليه ان يفصل الاضداد ، عن اشباهها ، ويضع كلا منها على حدة .

2 ــ التكرار : مثل الاخضر (223 ، 245) وطلع (202 ، 257) وزءوم (230 ، 259) كـرر الكلام عنها فى الموضعين مع اتفاق السياق على وجه التقريب فى (طالـع) واختلافـه فـى (الاخضر) و (زءوم) . وكرر عن فزع ايضا (129،182) وان اختار فى المرة الاولى صيغة (فزع ومفـزع) وفى الثانية (فزع) .

3 ــ اضداد لا ينبه فى صدرها علـى ذلـك ، ويبتديء فى علاجها مباشرة ، مثل نـاء (94) حتى اضطرب الناشر المصـري الاول فيها ، واتى بها فى تضاعيف الكلام عن سابقتها (124) كانمـا ليسـت مادة جديدة .

— * —

كتـاب ابي الطيـب اللغـوي

ظهرت اول محاولة لترتيب الاضداد على يد ابي الطيب عبد الواحد بن على اللغوي الحلبي المتوفـى عام 351 هـ . فقد اطلـع هذا اللغـوي على كتـب الاضـداد السابقة ، وجمعها امامه ، ثم نظر اليها نظرة ناقدة ، خرج منها بكتابه . واذن فقد كان يرمي ابو الطيب الى « احكام تصنيفه ، واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ، والغاء ما خلط من غيره فيه ، لتقوى منة القائليـن به ، ويضعـف قـول النافين له » كما يقول فى مقدمته . ويدلنا هذا على ان حركة التاليف فى الاضداد نضجـت ، ووصلـت الى مرتبة التفلسف والنقد ، بدلا من الاقتصار على الجمع .

وتبين هذه النظرة المدققة الناقدة فى منهـج المؤلف ، اذ قسم كتابه الى قسمين : الاول للاضداد المرضية عنده ، والثاني للاضداد التى ادخلها السابقون وليست من الاضداد فى حقيقتها . قال فى مقدمته : « وترى من سبقنا الى هذا الكتـاب قد ادخـل فيه ما ليس منه ، مما نحن ذاكرو صدر منه فى آخره بعد الفراغ من المقصد فيه » .

اما الاضداد المرضية ، او القسـم الاول مـن الكتاب ــ وهو الاكبر ــ فرتبه فصولا بحسب حروف المعجم . ووضع فى كل فصـل الالفـاظ المبـدوءة بالحرف المعقود له الفصل معتبرا الحرف الاصلـي فيها . قال فى المقدمة : « وقد راينا ان نبوبه على حروف المعجم ، اذ كانت همـة اهل زماننـا مقصورة عليه ، وقلوبهم مائلة اليه ، وخير ما تحرى ما نفع . وافضل ما انتدب له ما شفى ونجع » . ولكن ابـا الطيب اكتفى بترتيب الفصول ، ولم يحاول ترتيب الالفاظ نفسها فى داخلها .

والقسم الثاني من الكتاب ، الخاص بما ادخله السابقون من اضداد ليست منها فى الحقيقة ورتبه ابوابا . كل باب منها خاص بنوع من هذه الاضداد . وبلغ عددها اربعـة ابواب ، أولها لما استـوى فيـه الفاعل والمفعول من صيغة مفتعـل ومنفعـل مـن الاجوف ، وثانيها لما استوى فيه الفاعل والمفعـول من المدغم العين فى اللام ، وثالثها للمجازي ، ورابعها للمقلوب . والبابان الاولان مرتبان على الحرف الاول ايضا ، اما الاخيران فغير مرتبين ..

وحين يلقي المرء نظرة على هذا الكتـاب يجـده مفتتحا بمقدمة قصيرة ، تستهل بعد الحمد والصلاة بما تحراه المؤلف فى كتابه من احكـام التصنيـف واحسان الترصيف ... ثم تعريف الاضداد ويختمها بمنهجه والدعاء .

وتبدأ الاضداد بعنوان « الالف » الذى يشير الى فصل الالف بالطبع .

ولم يسم المؤلف هذه المجموعـات « فصـولا » ولكني وهبتهاهذا الاسم للتيسير .

ويظهر منذ الضد الاول تحري ابي الطيب الجمع والاستقصاء ، اذ يقتبس فيه من جميـع السابقيـن